ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Hutham Badr Hussein Asst. Prof. Dr.

Al-Nahrain University / College of Political Science

* *Corresponding author: E-mail* :
Dr.hutham@ced.nahrainuniv.e.iq

07702716181

***Keywords*:**
social representation,
novel,
war,
Ail Badr,
Ali Laftah Saeed,
Diaa Al-Khalidi

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 18 Jan. 2023
Accepted 26 Feb 2023
Available online 17 June 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Social Representation of Post-war Life in Three Iraqi Novels

A B S T R A C T

We may imagine that the novel was created with individual diligence and has no basis in the social life of individuals, and this is a wrong perception, because the novel is a complex structure that may clearly depict the daily relationship of individuals (the protagonists of the novel) and their different and complex relationship with society and the lives of those around them. It is the one that shows the reality of man and shows the lack of authenticity of the human being. If we know that there are those who believe that the author is no less important than the sociologist, and may even surpass him in stages in many cases, by virtue of the delicate sensitivity that he possess, as well as his ability to seize the details of social life, putting the psyche of his characters under a microscope, and to track the stages of social changes and their repercussions on values, behavior and attitudes. To what extent was the Iraqi novel able to monitor social representation in Iraq? And what led that coherent system of social representation to collapse? All of this we will review in this research, which will be taken from novels published after the repeated wars on Iraq as material for it and these novels are:

1 -The novel (The Tobacco Keeper) by Ali Badr.

2 -The novel (The Triangle of Death) by Ali Laftah Saeed.

3 -The novel (Killers) by Diaa Al-Khalidi

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.30.6.1.2023.07

التمثيل الاجتماعي لحياة ما بعد الحرب في ثلاث روايات عراقية

أ.م.د .حـذام بـدر/جامعة النهرين/ كلية العلوم السياسية

الخلاصة:

قد نتصور أنَّ الرواية ولدت باجتهاد فردي وليس لها أساس في الحياة الاجتماعية للأفراد ، وهذا تصور خاطئ ، لأنَّ الرواية هي بنية معقدة قد ترسم بوضوح العلاقة اليومية للأفراد (أبطال الرواية) وعلاقتهم

المختلفة والمتشعبة مع المجتمع وما حولهم من حيوات ، فالرواية كما يراها (رينيه جيرار) هي التي تبين حقيقة الإنسان وتبين عدم أصالة الكائن الإنساني . وإذا عرفنا أنَّ هناك من يرى إنَّ الخالق الأدبي لا يقل أهمية عن عالم الاجتماع ، بل قد يفوقه بمراحل في الكثير من الاحيان ، بحكم الحساسية المرهفة التي يتمتع بها ، فضلاً عن قدرته على اقتناص جزئيات الحياة الاجتماعية ، وعلى وضع نفسيات شخوصه تحت التشريح ، وعلى تعقبه لمراحل التغييرات الاجتماعية وانعكاساتها على القيم والسلوك والتوجهات، فإلى أي مدى استطاعت الرواية العراقية رصد التمثيل الاجتماعي في العراق؟ وما الذي أدى إلى انهيار تلك المنظومة المتماسكة من التمثيل الاجتماعي ؟ كل ذلك سنقوم باستعراضه في هذا البحث الذي سيتخذ من روايات نشرت بعد الحروب المتكررة على العراق مادة له وهذه الروايات هي :

1- رواية (حارس التبغ) لعلي بدر.
2- رواية (مثلث الموت) لعلي لفته سعيد.
3- رواية (قتلة) لضياء الخالدي .

الكلمات المفتاحية : التمثيل الاجتماعي ، حرب ، رواية ، ضياء الخالدي ،علي بدر ، علي لفته سعيد.

المقدمـــة :

إنَّ للنظرية العلمية في البحوث الاجتماعية أهمية ومكانة كبيرة كونها تقوم على تفسير بعض المعلومات المراد صياغتها ، فالبحث العلمي لا يقوم على وصف الظاهرة فحسب ، وإنما يذهب إلى تفسيرها وتأويلها ،مع الأخذ بالحسبان الموضوعات المطروحة فالرجوع إلى نظرية ذات علاقة يسمح بتوضيح الدراسة .

فالنظرية تعدّ أعلى مستوى ممكن لشرح وتفسير الظواهر الاجتماعية ، ولا يمكن فهم الواقع الاجتماعي دون الاعتماد على النظرية العلمية ، فهي بمثابة بوصلة تعين كل باحث أو مستكشف للاهتداء بها في معرفة التطورات الاجتماعية المصاحبة للتحولات السياسية في مجتمع ما .

وعلى هذا احتلت نظرية التمثيل الاجتماعي (التصور الاجتماعي)[هناك من ترجم التمثيل الاجتماعي إلى التصور الاجتماعي والكل أرجعه إلى العالم (سيرج موسكوفيتشي) عام 1961] مكانة كبيرة في البحوث والدراسات فهي قديمةً قدم الفلسفة ، ولكن بوصفها مفهوماً إجرائياً تعدّ حديثةً نسبياً ، وقد برزت أهميتها في البحوث عندما أثارها العالم سيرجي موسكوفيتشي فكانت لها مكانة مميزة في العلوم الإنسانية في دراسته التي نشرت في كتابه (la psychanalyse son image et son public) عام 1961.

فالتمثيل الاجتماعي يوفر شفرة الاتصال المشترك لتصنيفه وتسميته بطريقة جماعية في جوانب مختلفة من العالم الذي نعيش فيه. وبالمثل ، فإن هذه النظم من الأحكام التصنيفية تشكل وتوجه الطريقة

التي يفهم بها الإنسان المجتمع ، لأنَّها تضع القواعد والحدود التي تدخل في الوعي الجمعي. وعلى هذا فإن الحروب تعمل على انهيار تلك القواعد والحدود مما يؤدي إلى وضع قواعد جديدة لم تكن شائعة في أوقات سابقة وتحملها على الظهور .

فإلى أي مدى استطاع التمثيل الاجتماعي في العراق المحافظة على قواعده وحدوده ؟وما الذي أدى إلى انهيار تلك المنظومة المتماسكة من القيم الاجتماعية ؟ وكيف استطاع الروائي العراقي ابراز عملية الانهيار بكل تفاصيلها واظهارها في روايته؟ كل ذلك سنقوم باستعراضه في هذا البحث الذي سيتخذ من روايات نشرت بعد الحروب المتكررة في العراق مادة له وهذه الروايات هي :

1- رواية (حارس التبغ) لعلي بدر.

2- رواية (مثلث الموت) لعلي لفته سعيد.

3- رواية (قتلة) لضياء الخالدي .

مدخل لفهم التمثيل الاجتماعي :

أشار العالم موسكوفيتشي "إلى أنَّ التمثلات أو التصورات تتحدد في آن واحد بالمثير والاستجابة ، وأنَّه لا توجد قطيعة بين العالم الخارجي والعالم الداخلي للفرد والجماعة "(بن شوفني ،2017،ص.54-66) ، وقد عرّف موسكوفيتشي التمثيل الاجتماعي "على أنَّه وقائع ملموسة تدور وتتقاطع ، وتتبلور دون توقف عبر كلمة ولقاء في عالمنا اليومي ، فهي شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع ، أي أنَّها نظام معرفي وتنظيم نفسي، كما تُعدّ جسراً بين ما هو فردي وما هو اجتماعي ، إذ تسمح للأفراد والجماعات بالتفاهم بوساطة الاتصال الذي يدخل في بنية ديناميكية المعرفة" (بن شوفني ،2017،ص.54-66) .

وهنا يعدّ موسكوفيتشي التمثيل الاجتماعي "همزة الوصل بين الفرد والمجتمع ، وإن كان لكل مجتمع نظامه الخاص به من جملة العادات والتقاليد ، فهي تكتسي بصفة اجتماعية لأنَّها مهيأة وموضوعة على سيرورات التغير والتفاعل الاجتماعي لبناء وتكوين علم مشترك خاص بجماعة ، فهي توجه التصرفات والقرارات الفردية ، وتسمح لكل طرف في المجتمع بالتحكم في المحيط الذي يعيش فيه"(بن شوفني ،2017،ص.54-66).

بينما يعرّف أبريك :التمثيل الاجتماعي " على أنَّه حصيلة نشاط عقلي يقوم بوساطته فرد أو جماعة بإعادة بناء الواقع الذي يواجههم واعطائه معنى خاص ، أي أنَّ التمثيل الاجتماعي هو نتاج عملية ذهنية يُعيد عبرها الفرد أو الجماعة بناء الواقع وإعادة تشكيل أفكار عن العالم بشكل من الخصوصية لكل فرد"(بن شوفني ،2017،ص.54-66) .

وبناءً عمّا سبق يقترح فرانسوا لابلونتين التعريف الآتي : "التمثيل الاجتماعي هو التقاء الخبرة الفردية بالنماذج الاجتماعية حول طريقة تناول الواقع ، إنها تفسير اجتماعي للأحداث بحيث يصبح بالنسبة للأفراد المنتمين لذلك المجتمع الحقيقة ذاتها"(بو مدين،2004،ص.13).

وعلى هذا فإن التمثيل الاجتماعي كما يراه الباحث هو انشاء نظام من التصورات عن مجتمع ما أو عن حقيقة ما أو عن وضع ما ويتم تمثيله وتحريفه ، ومن ثم تبادله بين أفراد مجتمع أو مجموعة بوصفه حقيقة بمعزل عن المصدر الواقعي المادي الذي أنتجه .

التمثيل الاجتماعي في الرواية العراقية :

تفاعل الروائي العراقي مع المحن التي مر بها العراق على مر السنين واقترب من المشكلات المجتمعية التي حاصرت المجتمع في مراحل التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي عصف به عبر السرد الواقعي الذي نشر بعد العام 2003 ، وقد كان الحس الوطني حاضراً وبقوة ومتجسداً عبر شخوص الرواية ، إذ نكاد نلمس الجرأة في الطرح وهذا مالم نكن نلمسه في روايات ما قبل عام 2003 .

وهناك شبه اتفاق بأن اختلاف قواعد التمثيل الاجتماعي المتعارف عليه قد بدأ في العراق منذ حرب الثمان سنوات (ماعدا رواية علي بدر الذي يرجعها إلى عام 1941 عام الفرهود) ، فالحرب الطويلة مع المنظومة السياسية المتسلطة نتجت عنها انهيارات في مجالات اجتماعية واسعة ، فضلاً عن الحصار الاقتصادي الذي فرض على الشعب العراقي ولمدة طويلة أيضاً ، فضلاً عن انهيارات أخرى اجتماعية كانت انعكاس لانهيارات كبيرة سياسية كانت أم واقتصادية ، لحقها تغيير النظام السابق والحرب الطائفية ، كل هذه المصائب صاغها الروائي العراقي في سرد واقعي متشعب جسد خلاله وجعه المتراكم عبر السنين ،فالإنسان العراقي مع كثير الأسف أنسانٌ سيء الحظ تكالبت عليه المصائب والحروب بشكل مستمر فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يحتفظ بتوازنه القيمي والأخلاقي ؟

كيف من الممكن لتلك المنظومة الأخلاقية التي يستند عليها قبل تلك الهزات أن تحافظ على سلامتها من التصدع مرة تلو أخرى؟ حتى باتت تشكل منظومة قيمية لاتشبه السابقة في شيء ، بالتأكيد أن تلك الانهيارات كسرت شريحة واسعة من المجتمع إلا أنها لم تستطع كسر المجتمع ككل .

هذا ما يؤكده الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر(1820-1903) بتطبيق نظرية (الاصطفاء الطبيعي على المجتمع) "إذ يعمد سبنسر إلى تشبيه المجتمع بالجسد البشري، فبمثل ما تعمل الوحدات البنائية فيه – الهيكل العظمي والعضلات والعديد من الأعضاء الداخلية- بشكل مستقلّ لتساعد في بقاء العضوية ككل على قيد الحياة، فإن البناء الاجتماعي يتكاتف بالعمل للحفاظ على المجتمع"(الحسن،1991،ص.448). وتكاد هذه النظرية تمدنا بالأمل في إن قواعد وحدود التمثيل الاجتماعي من الممكن أن تصمد أمام الخراب الذي يحل بها نتيجة الحروب ، على الرغم من التاريخ

المتعالي على الذاكرة والمتخاصم مع العقلانية الذي سمم بيئاتنا ورسخ لثقافة العنف التي نراها تتسع كل يوم وصار عصياً علينا ايقافها أو الشعور بالطمأنينة على مستقبل الأجيال الجديدة.

1- **رواية (حارس التبغ) لعلي بدر:**

الرواية تتحدث عن "الموسيقار اليهودي (يوسف سامي صالح) الذي هاجر إلى إسرائيل عام 1950 في عملية أطلق عليها عزرة ونحمية ، وذلك بعد أن أُسقطت الجنسية العراقية عن اليهود ، كان متزوجاً من (فريدة روبين) ، وقد ولد ابنه مئير في العراق قبل عام من هجرته ، إلا أنَّ يوسف لم يطق العيش في تل أبيب ، فهرب إلى إيران عن طريق موسكو في العام 1953، بجواز سفر مزور باسم (حيدر سلمان) ، وفي طهران تزوج من (طاهرة) ابنة التاجر الثري (إسماعيل الطبطبائي) وولدت له ابنه حسين ، ودخل بغداد مع عائلته الجديدة عام 1958 ، ثم في عام 1980 هُجّر من العراق إلى إيران كونه من التبعية الإيرانية ، توفيت زوجته طاهرة في الطريق بين العراق وإيران ، وسجن ابنه حسين لمدة ثلاثة أعوام ، ثم اطلق سراحه وهُجّر إلى إيران ، عاش حيدر سلمان في ايران أكثر من عام ثم استطاع الهرب الى سوريا نهاية عام 1981 بجواز سفر مزور باسم (كمال مدحت) بعد أن تزوج من امرأة عراقية ثرية هي (نادية العلي) وعاد إلى بغداد وسكن معها في منزلها في المنصور عام 1982 وأصبح أشهر موسيقار في الشرق الأوسط" (بدر،2009،ص.9-10).

هذه هي القصة الرئيسة في الرواية أما القصة الفرعية فتروي أحدث الحرب الطائفية في العراق عام 2006 عندما يقتل الموسيقار (كمال مدحت) وترمى جثته قريباً من جسر الجمهورية بعد شهر من اختطافه ، وبعدها بخمسة أيام تتصل صحفية تعمل في صحيفة (تودي نيوز) الأمريكية بأحد الصحفيين العراقيين الذي يعمل كصحفي متخفي (بلاك رايتر) في المناطق الساخنة وتطلب منه عمل فلم وثائقي عن الموسيقار كمال مدحت لينشر باسم أحد العاملين في الصحيفة .

الرواية تتحدث عن الحرب والعنف في العراق منذ ثلاثينيات القرن الماضي ولحد الآن وتحاول سرد التباس الهويات في العراق والصراع على ما يطلق عليه بالهوية الجوهرية للإنسان يقول :" هكذا بينت حياته بشكل لا لبس فيه زيف ما كانوا يطلقون عليه الهوية الجوهرية"(بدر،2009،ص.13) ، فقد أوضح لنا الروائي عبر صفحات الرواية تحولات هوية البطل في محاولة منه للعيش في العراق بلا تهجير وصعوبة الأمر الذي أدى به إلى تزوير هويته لثلاث مرات بمساعدة بعض الأصدقاء .

فهناك من يرى أن "تشييد الهوية لدى الإنسان يتمثل بكونها لا يمكن أن تتمركز بغير نفي الأخر ، فالأخر كما قيل شرط لثبات الهوية ، ولا يمكن أبداً لها أن تنمو في شروط صحية بغير ذلك النفي ، بشرط أن يقوم ذلك النفي على أساس المغايرة والتنافس وليس على أساس الشطب الوجودي"(مطر،2019،ص.255).

لقد ركز الروائي على خوف البطل من الجمهور وكون أنَّ حادثة الفرهود التي حدثت في أربعينيات القرن الماضي وما تلاها من عنف أثرت بشكل سلبي على ذاكرة البطل فصار يخاف بشكل ملحوظ من هجوم محتمل من الجماهير لأسباب مختلفة ، فحتى عندما غير هويته إلا أنَّ الخوف من الجمهور ظل يلاحقه ويخيفه، وإذ أرجعنا هذا الفعل لنظرية التمثيل الاجتماعي نلاحظ مثلاً : "في دراسة قام بها العالمان الفرنسيان، (سيرج موسكوفيتشي) و(ماريسا زافالوني)، وقد طلبا فيها من المشاركين الإجابة عن بعض الأسئلة. إذ طلب من المشاركين ابداء رأيهم في الرئيس الفرنسي، ثم إعطاء موقفهم تجاه الأمريكان. فكانت اجاباتهم، في البداية، إيجابية قليلاً تجاه الرئيس الفرنسي، ولكنهم يحملون موقفاً سلبياً قليلًا تجاه الأمريكان.

لكن، بعد أن طلب الباحثان من قسم من المشاركين مناقشة الموضوعين بشكل جماعي، أصبحت آراء أعضاء المجموعات أكثر تطرفاً حول الرئيس الفرنسي ومواقفهم من الأمريكان. ومن ذلك، خَلُص الباحثون إلى أنَّ "إجماع المجموعة يبدو أنه يحث على تغيير المواقف، حيث من المرجح أن يتبنى الأشخاص مواقف أكثر تطرفاً عندما يكونون وسط الجماعة، كما أنه عندما نصادف آراء الآخرين قريبة لآرائنا، تتعزز معتقداتنا أكثر فأكثر"(بن الشريف، 2018).

العالمان أرجعا هذا الفعل إلا ما يعرف بمفهوم "استقطاب المجموعة"، وهذا يعني أنه عندما تكون هناك مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون الأفكار نفسها ، فإنهم يعزّزون وجهات نظر بعضهم البعض، وعليه تتقوى آراء كل شخص في المجموعة.

وإذا عدنا لبطل الرواية نراه يقول " لقد شعر بوحدة حقيقية ، شعر بنوع من الاغتراب والنفي ، وكان كل يوم تقريباً يخرج من منزله ويسير في شوارع بغداد، واضعاً يديه في جيبه ويتساءل هل هناك ما هو أقبح من هذا الواقع الذي يحيط به ، كيتش السياسة الشعبية وكيتش الفن الشعبي .. هل هناك ما هو أكثر رداءة وقذارة ، وحين يبدأ النقاش كان ينفجر بوجههم ، كان يعتقد أنَّ هذا الكيتش سينتج عنفاً أكبر ، ستختفي الخطوط والنقط والأسطح والأشكال ذات الابعاد الثلاثية ، ويظهر محلها هؤلاء المشنوقون في الشارع ، وهذه الجماهير التي يربونها على السخط والألوان الانفجارية ، والموسيقى المبتذلة والنشيدية الصاخبة ستنتج قوة للهدم لا يمكن زحزحتها "(بدر،2009،ص.195).

وإذا ما تساءلنا ما السبب الذي يمنح لصوت الحشود هذه القوة في التأثير على آرائنا وأفعالنا؟

الجواب يكمن في "فكرة للفيلسوف والرياضي الإنجليزي، ألفريد نورث، الذي قال ذات مرة: تتقدم الحضارة من خلال توسيع عدد العمليات التي يمكننا القيام بها دون التفكير فيها. فنحن اليوم، نعيش في عالم معقد، ولا يملك معظمنا الوقت الكافي للبحث في جميع الأشياء والموضوعات لنعرف مدى فائدتها. وبدلًا من ذلك، نستخدم قرارات الآخرين كاختصار للتنقل في حياتنا، فنعتمد على العادات والمسائل الشعبية"(بن الشريف، 2018).

نخلص من كل ذلك بأن الجمهور يتفق على الخراب والتدمير ويصبح قوة عصية عن السيطرة وهذا بالضبط ما حدث في العراق أيام الطائفية المقيتة التي دمرت السلم المجتمعي وحطمت الكثير من العائلات التي تنتمي إلى مختلف الطوائف والأديان .

"طيب من يدير العنف ؟ "(بدر،2009،ص.351)، التساؤل ذاته في الروايات الثلاثة ، وكأنما اتفق الروائيون على أن هناك يداً خفية تدير هذا العنف الذي مزق البلاد .يقول بعد ذلك : "المجتمع ينهار ، النساء يحملّنَّ المياه من البرك الآسنة لغسل ملابسهنَّ وصحونهنَّ، أسباب الموت عديدة ليس أقلها الكوليرا، فما هي الكلمات الملطفة التي يمكن استخدامها للذين يشكلون عصابات الخطف والقتل"(بدر،2009،ص.351).

هكذا يصف الروائي الحياة في الحرب الطائفية على العراق فقد تكالبت الطائفية والمرض والعوز على الناس حتى بات العراقيون يعيشون أياماً صعبة جداً.

لقد تسلسل الروائي في سرد المصائب التي مرت على العراقيين وعلى المثقف العراقي اللا منتمي لكل الجهات السلطوية التي تعاقبت منذ الأربعينيات من القرن الماضي ولحد الآن (وأقصد وقت كتابة الرواية) ، فهو يصور بوضوح كيف أنَّ هناك من يريد فقط أن يعيش بسلام ولكن كل الظروف تتكالب عليه ولا تدعه يحصل على حقه البسيط وهو العيش، فيصف مثلاً بطريقة حزينة جداً التهجير الذي حصل معه للمرة الثانية كونه من التبعية الإيرانية فيقول:

"نظر في الأفق البعيد ، فشاهد هذه الحشود التي تتقدم وهي تبكي ، لم يكن قادراً على التفكير مطلقاً ، غير أنه كان يتساءل عن استخدام الخيال في تعذيب البشر ، فالإنسان هو الكائن الوحيد على الأرض الذي يتمتع بالقدرة على تعذيب بني جنسه ، هو الوحيد الذي يجيد تدمير نفسه ، وربما خياله المفرط ، والذي يتجاوز الطبيعة هو الذي مكنه من انتاج تصورات التعذيب: آلاف من النساء والرجال الذين ينتزعون من أرضهم ، من منازلهم وأملاكهم ، ويذهبون الى أرض غريبة. عليهم بالكامل ، أكثرهم بالكاد يعرف أن يحدد إيران على الخارطة"(بدر،2009،ص.232) . ويكمل هذا المشهد الحزين بموت زوجته طاهرة فيقول :"قالت له طاهرة " أريدك أن تدفنني هنا ... أريد أن أدفن في العراق ، لا أدفن في إيران .." (بدر،2009،ص.232).

فالإنسان الذي عاش عمراً طويلاً في أرض معينة أكثر ارتباطاً بها خاصة وهو يرى أن هناك جذوراً تمتد عميقاً في تلك الأرض ، وعندما يكون انتزاع الإنسان من أرضه مكرهاً عليه وليس من اختياره سيكون الأمر أشد وطأة ومن الصعب تحمله ، وطاهرة هنا امرأة كبيرة ومريضة وعاجزة ومكرهة على الرحيل لذلك كان موتها في أرض العراق أشبه ما يكون بقرار اتخذته في ساعات التهجير ونفذته بالفعل ، إنه الاستسلام الكامل للموت حيث لم يبقَ شيء في الحياة يشي بالسعادة وبمستقبل مضيء .

فالروائي هنا يجسد لنا محنة الهوية في العراق ليس لفئة معينة من الناس ولا لدين أو مذهب معين إنما لجميع الأديان والمذاهب والأعراق ، يصور لنا أنَّ دائرة الموت والتهجير تدور غالباً وما كان مواطناً في هذه السنة قد يكون عدواً في سنة أخرى وهكذا دواليك . يقول في "كل مرة يطور شكلاً للهوية أعمق وأكثر اتساعاً ولكننا نصل فيما بعد إلى التباس حقيقي للهوية""(بدر،2009،ص.12)."فإن الانتماء الجذري إلى الجماعة الإنسانية ، أو إلى النوع الإنسان ، مهم وضروري ويجب أن يكون حاكماً على سائر الانتماءات الأخرى ، بما فيها الانتماء الوطني أو القومي ، ونبذ العنصرية والانحياز نحو الإنسانية وتغليب الهوية الوطنية أو القومية المنتفخة على المستقبل " (حسن ، 2023ص.228).

لكنه أي البطل عازف الكمان يحاول أن يوحد تلك الأديان والطوائف بالفن والموسيقى يقول : "كان يجمع شتات الأديان في داخله ، اليهودية التي عرفها وهو طفل ، المسيحية التي تتسرب إليه من خلال الموسيقى الكلاسيكية , والإسلام الذي أصبح يعيش في داخله منذ زواجه من طاهرة""(بدر،2009،ص.210) ، ويقول أيضاً : "كان حيدر يبحث في الموسيقى عن تحقيق إنجاز خارق يتمثل في اخضاع الروح إلى التجربة الفنية ، لم يكن يؤمن بالبطولة ، كان يؤمن بالفن . الفن هو في البحث عن الفضيلة .. هل الفضيلة قادرة على إيجاد حل للمجتمع ؟ هل هناك اختلاف جذري بين الفضيلة والفن ؟"(بدر،2009،ص.206).

لكنه يصدم غالباً بانقلاب الصورة وتحول الأشياء فحتى الموسيقى كان لها مهنة تختلف عمّا كان يتخيلها يقول : "في بغداد كانت الموسيقى تستخدم أسوأ استخدام كانت تستخدم للأناشيد المحرضة على الموت والقتل"(بدر،2009،ص.224) .

وقد كان الاحتلال الأمريكي محرضاً أخر للعنف فقد تصاعد العنف في العراق وبعد أن كان الإعلام الأمريكي يصور للعالم أن الاحتلال سيكون خاتمة للعنف وطريقاً لتصحيح الخراب الاجتماعي والسياسي الذي حل بالعراق طوال مدة الحكم السابقة ، صار الأمر أسوأ وصارت بغداد من أخطر المدن في العالم ، يقول الروائي على لسان أحد ابطاله : "إن بغداد هي نقطة تحول عالمية ، وكان من المتوقع أن تصبح مدينة حديثة حداثة سياسية واقتصادية واجتماعية . غير أن بغداد بدلاً من أن تصبح حسب التوقعات ، مدينة آمنة للسياسيين والصحفيين أصبحت نقطة العنف الحقيقية في العالم .. وقد صنع هذا الأمر صورتين متناقضتين لهذه المدينة التي كانت على حافة الحرب الأهلية ، فهي من جهة ازدادت أهميتها الإعلامية أكثر بكثير من السابق ، ومن جهة أخرى أصبحت ممنوعة وخطرة على الصحفيين ذلك الوقت"(بدر،2009،ص.37) .

فصار العنف هو السمة الغالبة في المدن العراقية وصارت مشاهد الموت والعنف والإرهاب متداولة وبقوة مما أدى إلى انهيار المنظومة القيمية والتصورات الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع يقول نقلاً عن لسان أحد ابطال الرواية وهو الصحفي الذي يلملم تفاصيل حياة الموسيقار : "وما أن وصلنا نهاية

الطريق حتى وجدنا على الرصيف جثة منزوعة الاحشاء ، بترت الرأس ووضعت إلى جانبها ، وحين انحرف في الطريق المقابلة واجهتنا أكثر من جثة ممددة على عرض الطريق"(بدر،2009،ص.354) .

هذه الصورة وغيرها تعدّ صورة طبيعية تشاهدها في أغلب مدن العراق ، فقد تخرج صباحاً للعمل وتصادفك جثة أو مجموعة من الجثث التي مُثّل بها، كل هذا لابد أن يترك أمراضاً اجتماعية شتى في الأفراد .

وهذا الأمر ليس بالجديد فقد كتب أحد شعراء مدينة أور السومرية وصفاً مشابهاً بعد سقوط تلك المدينة فما أشبه أمس باليوم فيقول :

عند البوابات العالية ..

وعلى الطرقات ..تراكمت أجساد الموتى.

تتمدد الجثث الآن وهي مبعثرة هنا وهناك ..

والأجساد ملقاة في الحقول الرطبة ..

لقد ملأت الدماء المسفوكة تجاويف الأرض

كما يملأ قالب السبيكة معدنٌ مصهور

وتتحلل الأجساد لتمتزج بالتراب ..

كما يذوب الدهن تحت أشعة الشمس(الحافظ،2016،ص.47) .

2- رواية (مثلث الموت) لعلي لفته سعيد:

رواية (مثلث الموت) من الروايات التي كتبت بعد الحرب الأهلية التي شهدها العراق في العام 2006 ، التي اندلعت بعد تفجير الامامين العسكريين في سامراء ، وكان هذا التفجير الشرارة التي انطلقت منها الحرب الأهلية ولم تهدأ إلاّ بعد سنوات من القتل والتهجير التي شهدها العراق ، وتُعدّ من أسوأ السنوات التي مرت على العراق على الرغم من أنَّه مر بسلسلة من الحروب والتغيرات السياسية التي لا أظن أنَّ مجتمعاً مر بها ، تبدأ الرواية بالحديث عن ثلاثة صحفيين يعملون في وكالات صحفية مختلفة يعيشون في إحدى المحافظات العراقية ويحاولون الوصول إلى بغداد للحصول على أجورهم من العمل في تلك الوكالات ، وتبدأ رحلتهم في طرح تساؤل ربما خطر على الكثير من العراقيين وهو: من وراء عمليات القتل والتفجير في العراق ؟، يحاول أحد الصحفيين النزول في الطريق لتقصي بعض الحقائق هناك عن طريق شراء علبة سكائر من أحدى الأكشاك الموجودة على طريق الموت كما يسميه الكاتب ، يتأخر

الصحفي عن رفاقه وبعد أن تكون هناك مواجهات عديدة بين عراقيين وقوات التحالف الأمريكي يضطر الاثنان لمغادرة المكان وترك صاحبهم يواجه مصيره المجهول ، يغادر الصحفيان الآخران ويصلان إلى بغداد ويمران بسلسلة من الأحداث تنتهي بهم وبطريق الرجوع بالطريق نفسه بالوقوع بأيدي الإرهابيين ، ويلاقي الصحفي الأول المصير نفسه لكنه يحاول شراء حياته بعمل مقابلة صحفية للإرهابي الذي سقط في يده .

تخرج الرواية بتساؤلات عدة ، ربما كان التساؤل الأول من يقع خلف الهجمات الانتحارية في مثلث الموت؟ والهجمات الانتحارية في مناطق العراق كافة ؟ هل أن بعض القادة السياسيين ورجال الدين مع أو ضد الاحتلال الأمريكي ؟ مع أو ضد الإرهاب؟ هل أن هناك اتفاق بين عناصر متنوعة لجعل البلد يصل إلى هذه الوضع ؟ وأجد أن هذا التساؤل أو هذه الفكرة تطرحها الروايات الثلاثة ، وربما يكون سببها أن الكثير من العراقيين يؤمنون بنظرية المؤامرة ، وأن هناك أيدٍ خفية تعمل على زعزعة الاستقرار السياسي وخلخلة السلم المجتمعي بين أبناء البلد الواحد ، وهذه النظرية قد تكون صحيحة وقد لا تكون ، يقول " لا يعقل أن يكون بحسب تفكيره ، مجرد صراع على السلطة بين جهتين متضادتين .. بل هناك ما هو أكثر إيلاماً يقف وراء ما يحصل"(سعيد،2016،ص.117) .

ما يهمنا الآن هو الظواهر التي حاولت الرواية اظهارها لتبين مواطن الخلل في التمثيل الاجتماعي الذي أصاب العراق خلال السنوات منذ سنوات حكم النظام السابق ولحد الآن ، وقد يكون أشدها ضراوة وتأثيراً في نفوس العراقيين هو الوشاية وكتابة التقارير في زمن النظام السابق ،يقول الروائي في إحدى مقاطع الرواية "زمن كتابة التقارير الذي كان النظام السابق يعتمد عليها في تثبيت أركان سلطته .. وإن كتاب التقارير أكثر لعنه من النظام نفسه "(سعيد،2016،ص.8). يعود لطرح الفكرة نفسها في مكان أخر من الرواية إذ يقول :" حتى إنَّ كل شيء ظل خانقاً بدءاً من النظام ورجال الأمن وكتاب التقارير والحروب التي لا تنتهي والتي أفضت إلى أن يعدم أخاه بسبب تقرير لفظ حروفه شخص امتهن العمل المخابراتي من الذين عملوا في المدينة للسيطرة على تحركات من يعتقدون أنهم معارضون حتى لو كان لمجرد أنهم لا يميلون إلى التواجد في التجمعات والتظاهرات التي تهتف بحياة الرئيس والوطن المنتصر بالخسارات"(سعيد،2016،ص.172) .

يعود في الرواية ليبين لنا شخصية المخبر ويصورها بشكل كاركاتوري ربما ليصل بنا إلى أن الشخصية الضعيفة المهزوزة تحاول جاهدة التملق للسلطة عبر هذا العمل في محاولة منها للتعويض عن الضعف الكامن في شخصيتها يقول :" فيما يترك مسدسه يتهدل من خصره فلا يتحمل ثقله ، فكان يستعين برفعه بين لحظة وأخرى ...فيما يعتقد الناس أنَّ حركته تلك المتكررة هي من أجل أن يراه العالم كيف يحمل مسدساً .. فاقد لكل شيء وليس له شهادة فوجد في فرع الحزب مكاناً للتعويض عن شخصيته القلقة"(سعيد،2016،ص.35).

فنرى أنَّ شخصية المخبر غالباً ما تكون شخصية قلقة وضعيفة لكنها تشعر بالأهمية الكبيرة ، "فهذاءات العظمة هو عرض مرضي عقلي ، ويعني اعتقاداً يسود فكر المريض بأنه شخص عظيم ، دون أن يسند هذا الاعتقاد واقع يدعمه"(راجح،1985،ص.574) .

كانت أغلب الروايات التي ظهرت في مرحلة ما بعد عام 2003 تطرح أسئلة ناتجة عن الحيرة والتشظي بين قيمة الحرية وبين الاحتلال ، ولما كانت الرواية هي سرديات حياتنا المعاشة ، فأنَّها تمثل هوية وقيمة المجتمع ، وانعكاس لما يحصل في الحياة الاجتماعية على الاتجاهات السردية المختلفة ،" فاللغة السردية لغة خاصة تحاول أن تضع الجمالي موضع العادي ، وتسهم في صياغة نماذج حيوية نشيطة للارتفاع باللغة من حاضنتها الطبيعية المجردة إلى حاضنة تعبيرية وتشكيلية راقية ، تعمل على تجميل الواقع الحياتي للإنسان"(ياسين،2023 ص.67) . فالاحتراب الاجتماعي والتقسيم والتمزق الهوياتي كلها صور هيمنت على الواقع العراقي بعد الاحتلال وبالنتيجة هيمنت على النصوص السردية التي اشتغلت على تلك الثيمة ، وكانت تلك التمثلات أو الظواهر قد قوضت أشكالاً مختلفة من القيم التي كان الفرد يعول عليها ، ومنها مثلاً قيمة الأخوة وعدم ترك الصديق في الشدائد ، إلّا أنَّنا نلاحظ في الرواية أنَّ اثنين من أبطال الرواية تركا صديقاً لهما يواجه مصيره المتوقع وهو الموت ، ولاذا بالفرار ، لقد أراد الروائي التركيز على انهيار بعض القيم المتعارف عليها ، ومثلاً أخر يعطينا الروائي عندما يتحدث عن صحفي أخر وهو صديق للصحفيين الثلاثة المختفين ، إذ قام بنشر أسمائهم وخبر اختفاءهم في القناة الفضائية التي يعمل بها من أجل السبق الصحفي ، في حين أنَّ نشر هكذا خبر يعرض اصدقاءه للقتل لكونهم يعملون في الصحافة، يقول الروائي على لسان الصحفيين الثلاثة : "إنَّ المنطقة خطرة وأنَّ هناك عمليات قتل طائفية ، وعليهم ألا يحملون أية هوية توضح عملهم ، فالجهات المسلحة تبحث عن هكذا فئات وشخصيات أما لتخطفهم أو تقتلهم"(سعيد،2016،ص.106) .

ظاهرة أخرى انتشرت في تلك الأيام هي ظاهرة وجود ما يعرف بـ(العلاسة) وهي مفردة شاعت أيام الحرب الطائفية ،وهي تعني الواشي والمخبر لكنها لبست ثوباً جديداً، إذ يقوم العلاس من مجموعة أو مذهب معين بالوشاية عمّن ينتمون لمذاهب أخرى ، أو يعملون اعمالاً تعدّها المجاميع المسلحة محرمة ، مما يؤدي إلى قتل أولائك الأشخاص بسبب من تلك الوشاية من (العلاس)، يقول الروائي على لسان أبطاله :" الناس لا يبالون لكنهم يتوقعون انفجار سيارة هنا أو انفجار لغم أو عبوة ناسفة هناك . بل يتوقعون أن تحدث معارك بالسلاح في أي منطقة من بغداد .. ثمة خوف يدركان أبعاده في النفوس... الخوف حتى من ركوب سيارة أجرة ، فربما يكون سائقها من المجاميع التي يطلق عليها (العلاسة) "(سعيد،2016،ص.158) .

يرى سعيد يقطين أن " ملامح التجربة الروائية العربية الجديدة بدأت في التشكل خلال مرحلة الستينيات من القرن الماضي ثم امتدت صورها في التوسع ، وقد اتخذت تجليات جديدة عمقت تطورها ونأت بها عن الصور التي اتخذتها في نهاية الستينيات ، هذه التجليات الجديدة هي امتداد للتحول العام

الذي عرفه أسلوب الرواية العربية ، ووظفت تسميات عدة لدى النقاد لوسم هذه التجربة الجديدة التي ماتزال مفتوحة ، فهناك من يسميها الحساسية الجديدة ، آخرون (التجريب) أو الرواية الجديدة أو الواقعية الجديدة ، وواضح عبر تعدد الأسماء أننا أمام حقبة سردية جديدة سواء على مستوى أساليب أم تقنيات الخطاب أم في دلالتها ومحتواها "(يقطين،2012،ص.107) ، ويمكنني أن أسمي رواية مثلث الموت بالرواية الصحفية ، فلغتها غالباً تبدو صحفية ، ولربما عمد الروائي لاستخدام هذه اللغة كون ابطال الرواية من الصحفيين ، فضلاً عن استخدام أسلوب التناوب في رواية أحداث الرواية بين الصحفي المخطوف وبين زملاءه ، وبين محافظ المدينة .

وإذ نعود إلى الرواية نجد أن الروائي يشكو حال الصحفيين الذين يقتلون بلا مؤسسة ترعاهم أو تدافع عنهم ، على عكس الوكالات العالمية التي تغدق العطاء للعاملين بها وتدافع عنهم إن أصابهم مكروه ، يقول : "هؤلاء لهم صحف مرموقة ، أولاً تحميهم بغطاء قانوني ولهم مكافآت مجزية وربما يتحملون كل شيء حتى مقتلهم أما نحن في العراق ... ليس لنا سوى أن نترك أولادنا عرضة للشوارع واليتم"(سعيد،2016،ص.106) .

تعامل الروائي علي لفته سعيد مع الحقائق بصورة مباشرة وأسهم في بناء ورسم الأحداث والشخصيات ، كاشفاً عن وعي الشخصية العراقية وتأثرها بما يحيط بها من أحداث ، وتحدث عن مثلث الموت وهي ثلاث مناطق عراقية سميت بهذا الاسم لكثرة حالات القتل والتفجير والخطف التي طالت الذين عبروا تلك المناطق من المدنيين قادمين من المحافظات إلى بغداد وبالعكس .

تقاسم الأبطال الأربعة بطولة الرواية وتوزعت الأحداث بينهم بشكل متساوٍ ، على الرغم من الانحياز لسليم عن باقي الأبطال . وقدمت الرواية سرداً دقيقاً عن انهيار لقيم أخلاقية ودينية لتلك الحقبة الحرجة من تاريخ العراق ، إذ إنَّ الرواية أبرزت على السطح قيماً جديدة لم تكن مألوفة في زمن السلم على الأقل ، وتفنن بالقتل بطريقة مقززة ، تعبر عن رخص قيمة الإنسان وما يفعله الإرهاب والتطرف الديني بالناس حتى تفقد حسها الإنساني وتبرر لنفسها كل الأفعال الدنيئة على سطح الأرض ، يقول الروائي واصفاً طريقة قتل سائق شاحنة مر بمثلث الموت : كان سائق الصهريج قد ربط على مقدمتها بحبل من حديد يشبه أسلاك الكهرباء قبل أن يحرقوا السيارة ليبقى هيكلاً عظمياً "(سعيد،2016،ص.104).

ويكاد يكون التطرف الديني أو السياسي أو الاجتماعي من أبرز التحديات المهددة للسلم في العالم لما له من تأثير على الإنسانية كافة . كونه يتخذ صوراً وأشكالاً وصيغاً متعددة تهدف إلى ترويع الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف قد لا تجيزها القوانين المحلية أو الدولية أو الأعراف الاجتماعية والدينية السائدة .

ويوصف بعض السيكولوجيين ، المتطرف "بأنه مصاب بحالة مرضية عقلية تنعدم فيها القدرة على إعمال العقل بطريقة مبدعة ، كما هو مرض عاطفي (وجداني) يتسم بالمحبة أو الكراهية المطلقة ، ولا يتسامح مع الآخرين ، لظنه أن ما يعتقد به هو الصحيح ، ولا مجال لمناقشته، فالمتطرف مفرط بالتعصب والتشدد في أمر عقيدة ما ، ومفاده أن الآخرين على خطأ ، ومعتقده هذا صالح لكل زمان ومكان ، ثم يتطور سلوكه نحو العنف لفرض معتقده بالقوة (خصوصاً إذا انخرط بتنظيم يهدف إلى ذلك) ، ويخلق الفوضى ويضر بالحريات العامة"(مرزوك،2022،ص.32)

"كان عليهما أن يعودا إلى رشد الهدوء كلما اقتربت السيارة من منطقة الخطر وقد عدا ما يمران به جزء من خرافات الحكايات المتعددة للحروب ، الحروب التي خاضها هو وخضير في ذات الوحدة العسكرية إبان حرب إيران ، وكذلك الكويت ، والهروب من عاصفة الصحراء باتجاه الجنوب ليصلا إلى مدينتهما .. كان الهروب يمنحهما الحياة .. فيما يمنحهم الوصول إلى المدينة الآن القلق من موت يحدق بهما أو أنه ابتلع صديقاً لهما"(سعيد،2016،ص.232) .

قد تبدو هذه الكلمات بما فيها من مفارقة مضحكة مبكية في الآن معاً ، فما مثلته المدينة أمس من أمان ، أصبحت مصدراً للموت في الحرب الطائفية ، إنها الفكاهة التي تميل إلى الأسى والحزن ، وهذا سر الخطر الذي يعصف بهذا النوع من الحروب .

ومن الانصاف القول أنَّ الرواية مثلت بشكل حقيقي رعب تجربة الخطف والمشاعر المتناقضة التي يمر بها المخطوف ، فضلاً عن مشاعر الخوف من التفجيرات الإرهابية ، وهي مشاعر عشناها لسنوات طويلة ، وعلى الرغم من السوداوية التي غلفت العنوان والأحداث المتلاحقة التي يستشعرها القارئ طوال قراءته للرواية إلا أن نهاية الرواية قد تبدو مبتورة ، وربما كانت ستبدو أفضل لو أنه سرد لنا نهاية أبطال الرواية بشكل مفصل ولم يتركنا بحالة من التيه والتساؤل يا ترى هل قُتل الصحفيين الثلاثة أم لا ؟

3- رواية (قتـــلة) لضياء الخالدي:

تحكي هذه الرواية عن "عراق غارق في فوضى المجموعات المسلحة ، كل مجموعة ترى نفسها المنقذ لهذه الأوضاع . فيما الوطن يتمزق والجثث ترمى ، والانفجارات تزرع الخوف في كل لحظة . وأعداد القتلى في تصاعد مستمر وقد تحولوا إلى أرقام . وروح الانتقام تسكن كل بيت .

عن هاوية الحرب الداخلية التي تجعل الموت عبثاً وتقفل طريق الخلاص يكتب ضياء الخالدي هذه الرواية.. "(الخالدي،2012) ، هكذا كتب الناشر على الغلاف الخارجي للرواية التي تحدثت عن عماد الموظف الحكومي الذي يتحول إلى واش وقاتل وهو يحاول أن يُطّهر الوطن من السيئين كما أقنعه أصدقاؤه القدامى العائدين من الدول الغربية يقول :

"ترى ، هل من المعقول أن عبود ترك لندن وعاد إلى بغداد من أجل توقنا الجنوني ؟يترك حياة الاسترخاء هناك ليعيش في عاصمة مصابة بوباء الحرب ؟

حين جاء ديار قبله بثلاثة أعوام تقريبا اتصل وكلمني عن حلمه . اغتيال السيئين . تنظيف البلد من الانتهازيين والجهلة والمجرمين واللصوص بأيدينا فوجئت بحديثه ، لكن طالما راودتني هذه الفكرة المرعبة حين بدأ العنف . نحن في خريف أعمارنا ، ولا وجود لمنطق يجعلنا نتمسك بتلك الحياة التي خسرناها"(الخالدي،2012،ص.34) . وإذا تحدثنا عن الوشاية في الرواية السابقة على أنها نوع من أنواع الانهيارات الاجتماعي فإن الوشاية في هذه الرواية لها صيغة جديدة فهي لا تعني أن الواشي يشي إلى أي شخص يمثل الدولة كالحزب وغيره ، وإنما يشي إلى المجاميع المسلحة بمختلف انتماءاتها ، لذا فالشخص المختلف عنها دينياً أو مذهبياً أو أيديولوجياً مصيره الموت المؤكد ، وإذ تساءلنا كيف يمكن لشخص له تاريخ سياسي ووظيفي وإن كان هذا التاريخ تاريخاً بسيطاً ، كما صوره لنا الروائي نقول كيف لهذا الشخص أن يكون واشياً ، فيكاد يجيبنا (غوستاف لوبون) في كتابه سيكولوجيا الجماهير عن ذلك إذ فيقول : "إنَّ خصوصية العناصر اللاواعية المكونة لروح عرق بشري ما تجعل أفراده متشابهين فيما بينهم ، ويختلف هؤلاء الأفراد فيما بينهم بشكل رئيس في العناصر الواعية التي هي نتاج التربية والوراثة الاستثنائية ، يمتلك البشر المتفاوتون في الذكاء غرائز وانفعالات وعواطف متشابهة جداً . في جميع الأمور المتعلقة بالعاطفة ،الدين ، السياسة ، الأخلاق ، الانفعالات والتنافر وما إلى ذلك ، ونادراً ما يتجاوز البشر البارزون مستوى الناس العاديين . من وجهة نظر فكرية يمكن أن نجد هوة سحيقة بين عالم رياضيات وصانع أحذية لكن من وجهة نظر تخص الطبع غالباً ما يكون الفرق معدوماً أو صغيراً جداً"(لوبون،2019،ص.69-70) .

فلا غرابة إذن من تصرف عماد بطل الرواية ، فله أسبابه التي اقنع نفسه بها ليزين لنفسه وللأخرين جريمة الوشاية والقتل. فأمام إخفاقه السياسي والاجتماعي ، وبمحاولة يائسة منه لاستعادة الذات المضيعة ، المهزوزة وعبر التحول من أيديولوجيا إلى أيديولوجيا جديدة مختلفة كلياً صنع لنفسه مبررات يداري بها جريمته .

الرواية تحدثت عن عراق 2006 ، ومن المعروف لنا أنه عام الطائفية البغيضة التي عصفت بالمجتمع العراقي ، وأسفرت عن انتهاء حياة الكثير منهم قتلاً وتهجيراً ، والروائي عراقي عاش أحداث هذه الحرب وأراد توثقيها في روايته التي شهدت انهيارات متعددة للتمثيل الاجتماعية ،وأرخت أحداثاً مدمرة عاشها المجتمع العراقي .يقول :

"التاسع من نيسان أذهلنا . أيّ شعور علينا أن نحمله ؟ كيف تبدو دواخلنا وقد شاهدنا الهمفيات والجنود الزنوج والشقر في أزقتنا ؟ سقطت تماثيل السيد الرئيس ، وهرب صاحبها إلى المخابئ السرية ، وإلى البساتين ، قبل أن يُمسَك بلحيته الكثة المخيفة . كانت أعمارنا تختبئ بين شعيرات لحيته ، ليترك لنا

بعدها الدهشة والغضب والفرح والحزن والصدمة . هكذا نحن مثل طقسنا المتقلب ، لا حدود واضحة تظهر لنا الأشياء في شكلها الحقيقي . دائما ثمة مفاجأة ما علينا انتظارها !"(الخالدي،2012،ص.62).

في هذا النص الروائي والنص الذي قبله نرى أن السياسة اتخذت لها مساراً جديداً، فالروائيان يرصدان الخراب الاجتماعي الذي تحقق بسبب تطبيق سياسة تستبد بالقرار ، وتستفز المواطن وتحتقره وتتعسف بالإساءة له، وتعزز الفوارق والتبعية مما يؤدي إلى تدهور القيم والسلوك الإنساني ويسبب خراب المنظومة الاجتماعية المتعارف عليها ، فضلاً عن انهيار القيم الأخلاقية التي تعمل على بناء المجتمع وقيمه وسلوكياته . وبالتأكيد فأن هذه الروايات لا تسعى لتقديم الحلول لتلك الظواهر بقدر ما أنها تقوم بوضع الاسئلة ومحاولة رصد تلك السلوكيات واظهارها بشكلها المخيف لتطفو على السطح .

ركزت الرواية على أن هناك جهات مجهولة متعددة تعمل على تغذية أعمال الاقتتال الطائفي وتمول الأطراف المتقاتلة جميعها :

"في بغداد الآن خلايا يقتصر عملها على إثارة العنف وتغذيته . هناك غايات كثيرة بحسب من يدفع الدولارات . قد تمول إحدى الخلايا الطرفين المسلحين .

قال عبود وقد ابتسم بلا معنى :

العاصمة فيها تجار حروب وأزمات . شركات يافطاتها إنسانية وهي بالفعل وكر للقتلة"(الخالدي،2012،ص.66).

فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق ، أصبحت الحدود مفتوحة على مصراعيها لمن هب ودب للدخول إلى العراق ، وهناك من قام بعمليات تصفية لحسابات قديمة ، أو على تخريب أركان السلم المجتمعي في البلد لغايات غير معروفة .

وفي ظل كل هذا الخراب ودخول المخربين من شتى بلدان العالم ، والضعف العام بكل مفاصل الدولة ، كثر الخوف لدى الناس فارتدوا إلى مكوناتهم الصغيرة ، المتمثلة بالعشيرة أو الطائفة لحمايتهم .

إنَّ "الإنسان المقهور الذي لم يتمكن من التصدي لقدره ومجابهة تحدياته ،يلوذ بقوى تحميه ويجد نفسه في وضعية تبعية على مختلف الأصعدة ، خاصة التمسك بالتقاليد والرجوع إلى الماضي والتماهي بأبطال القصص الشعبية ،والذوبان في الجماعة ، وفي الأسرة أو العشيرة .كل هذه الانتماءات ترسخ نمط النكوص الطفلي في مجابهة واقعه"(حجازي،2016،ص.132).

يسلط الروائي الضوء على ظاهرة أخرى وهي ظاهرة اللجوء إلى السحر والخرافة ، فعندما لا تعود الأمور تسير حسب المنطق المتعارف عليه ويصاب الفرد بالنكوص مما يولد لديه الارتداد للبدائل الغيبية في تفسير الأشياء ، فالسحر والخرافة وجدت لها سوقاً رائجة وهذا الأمر ليس بالجديد ففي سنوات

حرب الثمانينيات كانت أسر بعض الجنود المفقودين تبحث عنهم وعندما تفقد الأمل يستعينون بمشعوذين يضعون مرآة ويدعون أنه يستطيع أن يُري الزوجة أو الأم ابنها المفقود على قيد الحياة ، وهذا قد يعطيها أملاً ولو كان بسيطاً أو زائفاً لكنه بالنتيجة يجعلها تستطيع اكمال حياتها ، فقد يلجأ الناس للغيبيات وللسحر لإيجاد الحلول التي تشعرهم ولو لوقت بسيط بالراحة ، وهذا ايضاً يعود للوعي الثقافي للمجتمع ، فقد ينشط السحر مع الجهل والتخلف ، و ينشأن كلاهما مع الحروب ، يقول الروائي على لسان أحد ابطاله: "كما أواظب على قراءة كتب الفلك والتنجيم ، وقد وصلت إلى أمور مدهشة مع الكتب الروحية ، شمس المعارف الكبرى ، وسحر الكهان للطوخي ، والأجزاء الثلاثة من سحر هاروت وماروت ، هي دليلي في الزمن العراقي !" (الخالدي،2012،ص.123). ويضيف أيضاً: "استحضرت الجن قبل ثماني سنوات ، وعندي جني يأتمر بأمري ، ومنذ العام 2003 وحتى اليوم أطلب منه اخباري بالطريق الآمن الذي أسلكه " (الخالدي،2012،ص.124) .فالطريقة الواثقة التي يتحدث بها بلال تقودنا إلى تحليل دقيق لشخصيته التي يفصلها علم الاجتماع ، "إذ إن اختلال التوازن الوجودي وانعدام تحقيق الذات ينتج عنه حالة من والقلق المفرط وانعدام تقدير الذات ، لذا تبرز الحاجة إلى حلول لمجابهة هذه الوضع المتأزم تقوم هذه الحلول بإعادة بعض التوازن وتؤمن بعض الكبرياء وتجعل الوجود محتملاٍ أكثر"(حجازي،2016،ص97) ، هذا ما يمر به بلال فإن انعدام اعتباره لذاته خلق لديه حالة من الاحساس بالتميز في شيء لا يفقهه الأخرون وهو السحر ، إذ يعمل على تأمين بعض الكبرياء والاحساس بالتفوق على الأخرين بالنسبة له ، فنراه مؤمناً تماماً بما يقوله .

يقول البطل في مكان أخر من الرواية "أقلب كتب بلال الصفر ، وأشاهد الجداول والأسهم والحروف المقلوبة والكلمات التي تبعث على الضحك . حقاً تأخذني السخرية إلى أبعد مدى أنا ألمس كيف أن العقل كلما قلت قدرته على المحاكمة بمنطق عشعشت فيه الخرافات ، الكثير قد لا يصدق ما يفعله بلال ، ومن يشابهونه ، وربما عالم الجن عندهم من الخرافات ، أو الأمور غير المحسومة ، خاصة حين يمتد تأثيره إلى البشر . لكن الصورة تتسع لمشاهد كثيرة ، وربما يظهر تنين في العاصمة ، أو وحش يستيقظ من كهوف التاريخ . كل شيء متوقع في بغداد ..." (الخالدي،2012،ص.158).

يعود الروائي ليرينا كيف أن هناك من يجد أن من يقتل الناس هم من الجن وليس من الإنس ربما يعود ذلك للصورة البشعة اتي بها يقتل الناس مما يبعد عن عقولهم أن تلك البشاعة ممكن أن تصدر من إنسان يقول: "يعتقد شمخي أن ثمة وحشاً أو سعلوة أو طنطلاً في مدينته الوشاش . يخرج في الليل ليقتص من الناس . هناك جثث ممزقة بأنياب غريبة وجدت في المزابل ، ويحلف بالأولياء أنَّ أصدقاءه لمحوا الطنطل وهو يدخل أحد البيوت المسكونة ، والتي هجرها أصحابها . ذلك البيت الذي كتب على جداره الخارجي عبارة (مطلوب عشائرياً) وخط على بابه عبارة أخرى (لايباع ولا يؤجر) " (الخالدي،2012،ص.67).

"فالذهن المتخلف العاجز عن الغوص في تحليل الظواهر عمقاً واتساعاً مصاب بنوع من الصد المعرفي ،...،فهو أسير النقاط العمياء في عملية الإدراك التي تظل قاصرة ومليئة بالثغرات . ويرتبط هذا الأمر بعجز أساسي عن السيطرة على الواقع ، ومن ثم شعور بالنقص تجاه ظواهر الطبيعة والعلاقات "(حجازي،2016،ص.63-64).

وإذا كانت كلمة (لا تقتل) التي كانت أمر ضمني وثقت في كل الأديان السماوية منها والوضعية وفي كل ثقافات العالم، فيجب علينا أن نعرف الفرق بين الحضارة والبربرية ، أن نؤمن أن القتل هو طريق معبد للبربرية والوحشية التي غزت الأرواح المجرمة ، فرواية قتلة تشير لهم جميعاً لتقول لنا أنَّ من يقتل لا يأتي معه سوى الخراب مهما كانت مبرراته ، وإن من يدفع بالفصائل المسلحة كلها لإشاعة القتل هي ماكنة واحدة تمد الناس بالأموال لتخرب كل ما هو جميل على هذه الأرض ، ليس هناك من منقذ سوى الوعي والمحبة والتسامح .

النتائج التي توصل إليها البحث :

1- نرى أن الروايات الثلاث تتفق بأن التمثيل الاجتماعي لحياة الحرب في العراق بدأ منذ حادثة الفرهود(رواية حارس التبغ) ومنذ الانقلابات السياسية والحرب العراقية الإيرانية (رواية مثلث الموت ، ورواية قتلة)، فضلاً عن الحصار الاقتصادي لمدة طويلة أيضاً على الشعب العراقي أضافت أمراضاً اجتماعية أخرى ، لحقها الاحتلال ودخول القوات الأمريكية للعراق ومن ثم الحرب الطائفية ، كل هذه المصائب صاغها الروائي العراقي مبيناً بشكل مؤكد انهيار المنظومة الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع العراقي بشكل كبير.

2- عند محاولة فهم وتحليل الرواية تظهر لنا المشكلة الحقيقية التي ينبغي بحثها وهي العلاقة بين الشكل الروائي ذاته وبناء البيئة الاجتماعية التي تنشأ في ظلها ، أي بين الرواية كجنس أدبي وبين المجتمع المعاصر.

3- في النصوص الروائية نلاحظ أن السياسة اتخذت لها مساراً جديداً، فالروايات رصدت الخراب الاجتماعي الذي تحقق بسبب تطبيق سياسة تستبد بالقرار ، وتستفز المواطن وتحتقره وتتعسف بالإساءة له، وتعزز الفوارق والتبعية مما يؤدي إلى تدهور القيم والسلوك الإنساني ويسبب خراب المنظومة الاجتماعية المتعارف عليها ، فضلاً عن انهيار القيم الأخلاقية التي تعمل على بناء المجتمع وقيمه وسلوكياته . وبالتأكيد فأن هذه الروايات لا تسعى لتقديم الحلول لتلك الظواهر بقدر ما أنها تقوم بوضع الاسئلة ومحاولة رصد تلك السلوكيات واظهارها بشكلها المخيف لتطفو على السطح .

4- نكاد مجزم بأنَّ أهم أزمة عصفت بالمجتمع العراقي هي أزمة الهوية ، وتكاد الروايات الثلاثة تتفق في عرض هذه الأزمة لما تمثله من أهمية كبيرة .

5- للرواية خاصية مميزة أنها طرحت الاسئلة الجوهرية المتعلقة بالحب والفن والموت والقتل والهجرة والأيديولوجيا ، وقد صاغها الروائي عبر شكل روائي يوحي ولا يجزم يتدثر بالالتباس ويفسح المجال لأكثر من رأي . وضمن الثنائية المستعصية الانفتاح والحوار والصراع مع الآخر .

Sources and references:

1- Badr, Ali (2009). *The Tobacco Keeper*. Beirut, Lebanon: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

2- Al-Hafiz, Mounir (2016). *Maqamat of violence*. Syria, Lattakia: Dar Al-Hawraa for Publication and Distribution.
3- Hijazi Mustafa (2016). *Social Underdevelopment: An Introduction to the Psychology of the Oppressed Man*. Beirut, Lebanon: The Arab Cultural Center.
4- Al-Hassan, Ihsan Muhammad. (1991). *Pioneers of Social intellect* . Baghdad: Dar Al-Hikma for printing.

5- Al-Khalidi, Diaa (2012). *Killers*. Beirut: Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution.
6- Rajeh, Ahmed Ezzat (1985). *The Fundamentals of Psychology*. Alexandria: Dar Al Maarif.

7-Saeed, Ali Lafta (2016). Triangle of Death. Baghdad, Iraq: Sutoor for publication and distribution.

8-Le Bon, Gustave (2019). *The Psychology of the Masses, (translated by Ahmed Hayek)*. Beirut, Lebanon: Al-Rafidain for printing and publishing.

9-Yaqteen, Saeed (2012). *Issues of the New Arabic Novel: Existence and Borders*. Beirut, Al-Ikhtif Publications.

Periodicals and the Internet:

1- Bin Shufi , Bushra. (2017). Social Perceptions, A Theoretical Approach, Journal of Social Studies and Research - Martyr Hama Lakhdar University - Al-Wadi, Issue 24.
2- bin Al-Sharif, Khaled . (2018). Polarizing the collective mind, how do crowds affect our thoughts and behavior?, Ultra Voice, Arabic youth website:

https://www.ultrasawt.com

3- Hassan, Hadeel Abdel-Gawad. (2023). Identity Obsession in European and American way of thinking: A Historical Study. Tikrit Journal of Human Sciences, Volume 30, Issue 1.
4- Matar , Naji Abaas. (2019). The False Formation of Identity and Crises of Belonging, a Reading in the Novel of the Tobacco Keeper by Professor Ali Badr, Journal of Etiquette - Dhi Qar University, Issue 29.
5- Yassin, Ibrahim Namis. (2023). Poetic language and aesthetic arts: narration, drama, drawing, a study in the poetry of Diwan (drenched Singer) by Saeed al-Saqlawi / Tikrit Journal for Humanities, Volume 30, Number 1.

Dissertations:

1- Boumediene, Slimane (2004). Social Perceptions of Health and Disease in Algeria, unpublished PhD thesis, University of Mentouri, Constantine

2- Marzouk, Ali Aahmad Abu. (2022). , Anti-Extremism Policies and Promoting Peaceful Coexistence in Iraq from a Contemporary Security Perspective 2011-2022, College of Political Science University Al-Nahrain .